مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12، عدد: 4 ديسمبر 2023
ص: 13 - 32 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

إشكالية المصطلح النقدي؛ "تعددية معنى النص"، "القراءة" و"الأثر المفتوح" نموذجا

The Problematic of Critical Terminology " Text Polysemy ", "Reading", and "Open work"as a Model

حنان مجدوب[1] / فتيحة سريدي[2] *
Hanene medjdoub[1] / fatiha saridi[2]
مخبر السرديات وتحليل الخطاب.
جامعة باجي مختار- عنابة (الجزائر)
University Badji Mokhtar, Annaba (Algeria)
hanenemedjd@gmail.com [1] fatihaseridi585@yahoo.com [2]

تاريخ الإرسال: 2023/08/07	تاريخ القبول: 2023/09/10	تاريخ النشر: 2023/12/15

مُلخّص البحث

تشهد السَّاحة النقديّة عدَّة أزمات مصطلحية، ومن بين المصطلحات التي تشهد أزمة في النقد الأدبي مصطلح "تَعَدُّدِيّة معنى النص"، وتنشأ الأزمة المصطلحية لأسباب عدة من أبرزها اشتراك المصطلحات في الدال واختلافها في المدلول، أو قد يعود إلى تعدد المدلولات للمصطلح الواحد، وقد وقع اهتمامنا في هذه الورقة البحثيَّة على هذه القضية لجمع هذه المصطلحات وحصر مفاهيمها ومحاولة توضيح الفروق بينها وفق طرح علمي تحليلي وصفي، وقد تم جلبها من معاجم متنوعة ومن بعض طروحات صانعيها ومن تبنوها، وممَّا نخلص إليه أنّ مفهوم "تعدّديّة معنى النص" ينهض بالأساس على مفهوم "المعنى" الذي يعتبر إشكالية معروفة عند الفلاسفة وضاربة في عمق الزمن. كما يتأسَّس تعريف "الأثر المفتوح" على مفهوم تعدّديّة معاني الفنون بما فيها الأدب، وما يجعل هذا المصطلح أقرب من مفهوم "تعددية معنى النص" هو اتّساع تعريفه فهو يرتكز على مبدأ انفتاح النصوص التي تحمل أكثر من معنى وذات معاني متباينة ومختلفة وهذا المفهوم يتقاطع مع مفهوم مصطلح "القراءة" إلى جانب مصطلحات أخرى، وعلى المتلقي أن يعمل آلته العقلية لاستخراجها وفق ضوابط منهجيَّة.

الكلمات المفتاح : أزمة، مصطلح، تعدّديّة، معنى، قراءة، أثر مفتوح.

Abstract :

The critical field is experiencing terminological difficulties, notably the term "Text polysemy" in literary criticism. These crises arise as a result of shared signifiers with different signified meanings or the polysemy of a single term. The

* حنان مجدوب: hanenemedjd@gmail.com

purpose of this study paper is to collect and define those terms using an analytical, descriptive scientific approach. The terms are sourced from diverse dictionaries, original formulations, and adopters' perspectives. "Polysemy" is rooted in the concept of meaning, a well-known issue among philosophers throughout history. "Open work" is based on the polysemy of arts, including literature, with a broad definition relying on multiple meanings. It intersects with "reading" and requires recipients to employ intellectual tools for interpretation based on methodological criteria. Extracting and interpreting these meanings falls upon the recipient, who must utilize his intellectual faculties.

Keywords: Open work – Meaning – Polysemy – Crisis – Term – Reading.

المقدمة :

ينهض النقد أدبي على المصطلح النقدي ويُعدُّ ركيزةً من ركائزه، ولا يمكننا تصور مصطلح بدون مفهوم يصاحبه، وتَتفِق أغلب الدراسات على أن النقد يتميز بعدم الاستقرار والثبات فهو دائما في تطور مستمر، وقد أدى ذلك إلى توسيع المعجم النقدي، وعلى إثر ذلك وصف المصطلح النقدي، هو الآخر، بالتطور المستمر ومن عواقب هذا التطور الوقوع في أزمات مختلفة، والأزمة في مفهومها هي ذلك الخلل الذي يصاحب العمليّة النقديّة والذي ينتج في الأصل عن تراكم مصطلحي، حيث يُلاحظ في الدّراسات اضطرابًا وتشويشًا عند تحليل النصوص الأدبية، وقادت هذه الأزمات إلى الاستنجاد بـ"علم المصطلح" لعزل المصطلحات الدخيلة والفصل بين المتشابهات التي تشترك في الدال أو المدلول. وقد شغل بال النقاد على المستوى اللغوي والفلسفي قضية "المعنى" ردحا من الزمن وتؤكد جلُّ الدراسات على أنَّه يُعدُّ قضية إشكاليّة، لأنه يشترك مع مفاهيم أخرى في فحواه على غرار التأويل والتفسير والفهم، ومع ذلك، فإنّ اهتمامنا في هذه الورقة البحثيَّة يَنْصَبُّ على تقصِّي مفهوم "تعدُّديَّة معنى النص"، الذي كان ومازال طرحًا متعلقًا بقضيَّة المعنى، وهذا الارتباط جعل مشكلته تتفاقم وتصبح لافتة للنظر، فأزمة "تعدديّة معنى النص" ناشئةٌ عن خللٍ مصطلحيٍّ ومفاهيميٍّ أيْ من تراكمها، لذلك لابد من معالجة قضيتها والوقوف على أهم حيثيَّاتها، وقد انبثق عن ذلك السؤال الآتي:

- ما هي المصطلحات والمفاهيم التي تتقاطع مع "تعدُّديّة معنى النص"؟

وبُغية الوصول للهدف المنشود؛ ركزت دراستنا على عناصر أساسيّةٍ تطرقنا من خلالها لسيرورة نمو مصطلح "تعدّديّة معنى النص"، وهي على التَّوالي: أزمة المصطلح النقدي– سيرورة تطور مصطلح ومفهوم

"تعدّديّة معنى النص"- العلاقة بين "تعدّديّة معنى النص" والمناهج النقدية- المصطلحات المتجاورة- أسباب تفاقم أزمة مصطلحات الدّالّة على "تعدّديّة معنى النص".

أولا: أزمة المصطلح النقديّ:

شاع بين النقاد العرب إضافة لفظة "إشكاليّة" قبل مصطلح النّقديّ، حتى أصبح بعض النقاد يَتَحَرَجُ من استخدام مفردة "أزمةٍ" أو "إشكاليَّةٍ" وأرادُّوا المساهمة في تخطِّي هذه المعضلة وإزاحتها عن دراستهم، يقول يوسف وغليسي في هذا الصدد: ((لقد تعمدنا نقل هذا الحشد من التعريفات المتصلة بالإشكالية أملاً في البحث عن مزيد من المسوّغات التي تشفع لنا خلع صفة الإشكالية على مدونة بحثنا (المصطلحات النقدية العربية الجديدة)، ضمن الاستراتيجية المنهجية المبتغاة لهذا البحث[1]))، وقد أَوْرَدَ في سياقٍ آخر رأي محمد حلمي خليل مؤكدا رأيه، قائلًا: ((...المصطلحات اللسانية أصبحت تشكل عبءً كبيرًا على الدارس الأكاديمي المبتدئ والمتقدم))[2]، ومع ذلك، وعلى عكس هذا البيان نجد من يحمل شعلة التحريض على التفاعل مع هذه الظاهرة النقدية والتخلي عن صفة الخصوصية وثبات المصطلح والتكيف مع ميوعته[3]، وتشير بعض الدراسات إلى أنّ القضيَّة كانت مطروحة منذ القدم و"الأزمة" تُعَدُّ مقابلًا لغويًّا "للإشكاليَّة" تصف حالة تدهور قضيَّة المصطلح النقديّ التي وسمت بالاضطراب والتَّشويش، "ومن مظاهر ذلك ما نجده من اختلاف في كثير من المصطلحات في صياغتها الفنية أو في فهم محتواها، ولست أبالغ إنْ قلت إنّ عبارة (إشكاليَّة المصطلح) أصبحت من العبارات المألوفة في الدراسات النقدية، ولا يخفى أنّ هذه الإشكاليات ذات أوجه ولبوسات مختلفة، ففي بعض الأحيان نلمس ملامحها في الصياغة اللغوية الخارجية للمصطلح كما هي مصطلحات (الرومانطقية والرومانتيكية...) أو (الهدمية والتفكيكية...) وأحيانا أخرى تتجلى هذه الإشكالية في مفهوم المصطلح ودلالته المضمونيَّة كما في (الشعر الحر) إذ أنَّه ترجمة لشيء آخر غير الذي أطلق عليه في أدبنا العربي في وقت من الأوقات"[4]، وهذا ما يدل على عدم التَّكافؤ بين المصطلح ومفهومه، وتعبر هذه الإشكاليّة عن خلل ملازم للمصطلح النقديّ، وقد تؤدي الأزمة المصطلحيّة إلى تأخير تقدم وتطور النقد الأدبي، ومع ذلك، لا نستطيع الاعتقاد أنّ أيّ أزمة مصطلحيّة تؤدي إلى وقوع أضرار وتشويش على المستوى النقديّ، فيمكن أنّ تؤدي إلى دفع النقد إلى التطور والتجديد فهي تفتح آفاقا جديدة لتحليل النصوص من جانب معين ويترتب عن ذلك وجهات نظر مستحدثة تبرز نقص أو عيوب النظريات السابقة، وما يميز الأزمات المصطلحيّة في النقد الأدبي هو حدوثها بشكل غير متوقع أيّ عفوي، وقد حصد أهل المصطلحيّة عدة أسباب تجعل من مشكلة المصطلح النقدي قائمة، ونذكر منها:

1. تَعدُّد المناهج واختلاف التّيّارات الفكريّة بالإضافة إلى محاولة إحياء المصطلحات التراثية القديمة أو السَّعي لإرجاع المصطلحات المستحدثة إلى جذورها والتّأصيل لها، كما نجد عِدَّة مقابلات لفظيّة للمصطلح الأجنبيّ الواحد في اللّغة العربية، والعفويَّة عند الترجمته.[5]

2. تعدُّد الدال لمفهوم واحد أو تعدُّد المدلولات للمصطلح الواحد، وقد يحدث إحياء دال المصطلح التراثيّ الذي له معنى معين في النقد القديم وتداوله بمفهوم مستحدث في النقد الحديث؛ أيّ الحفاظ على الدال القديم وابتكار مدلول مغاير.[6]

3. تفضيل استعمال مصطلح على آخر في منطقة معينة ما على خلاف ما يستعمل في الأقطار الأخرى، أو توظيف المصطلحات توظيفًا غير صحيح، ولاسيما الأجنبية منها.[7]

4. الخلط بين المصطلح النقديّ وعناوين بعض الكتب.

5. عدم تبني طريقة موحدة لدراستها، مما ترك التكرار الاصطلاحي ينعكس سلباً على الجانب التَّوثيقيّ، وقلة الدِّراسات العلميّة التي تهتم بجمع المصطلحات وتصنيفها، كلٌّ حسب منهجه وتيَّاره الفكريّ.[8]

ويسعى النقاد المعاصرون إلى وضع حد لهذه الإشكاليّة، "والإشكالية هي النظرية التي لم تتوافر إمكانية صياغتها، فهي توتر ونزوع نحو النظرية، أي نحو استقراء فكري، وهذا الاستقراء النسبي لا يحصل إلا بتجاوز الإشكالية وقيام نظرية تجيب عن هذه الإشكالية، وتفسح المجال بالتالي لميلاد إشكاليات جديدة أكثر غنى وأكثر استجابة لخط التطور والتقدم... إن في المصطلح النقدي الجديد بما فيه من الالتباس والاعتياص والتنازع والانغلاق على الفهم".[9]

إن انتشار ظاهرة إشكاليّة المصطلح النقديّ في الدِّراسات المعاصرة لا يجعلنا نسلم بأنّ أيْ تعدُّد مصطلحيّ أو مفاهيميّ يمثل أزمةً جديدةً، أو أنّ عمليّة التعريب أو الترجمة معضلة، بل على العكس من ذلك، فقبل إلصاق صفة الإشكالية والأزمة بالمصطلحات النقديّة وجب علينا القيام بعمليّة الفرز والتَّمحيص عن طريق إجراء دراسة حوله وضبط مفهومه باتِّباع طروحات مختلفة وخاصة الدراسات التي أنتجها "علم المصطلح"، ومن بين المصطلحات التي شهِدتْ أزمةً اصطلاحيّةً نذكر أشهرها في النقد العربي: (السرد، السردية، السرديات، السردنية...)، وأيضا: (سيميائية، سيميولوجيا، سيميوطيقا، علم الإشارة...)، وقد أفدتنا جهود النقاد بتوضيح المصطلحات المتساوية من حيث المعنى الدَّلاليّ أو حصر الفروق بينها أو حتى كشف الدَّخيل عليهم، ولا يقتصر الأمر على النقد العربي بل نجد، أيضا، هذا التنوع في النقد الأجنبيّ ومن بينها نذكر هذه المصطلحات بلغاتها الأصلية: (Sémiologie, Sémiotique, Sémanalyse)، ولكثرة هذه الظاهرة في النقد أصبح الخوف من مواجهة مثل هذه المشكلة ووجوب التَّريُّث قبل خوض غمار توظيف المصطلحات في نقد الأعمال الأدبيّة.

ثانيا: سيرورة تطور مصطلح ومفهوم "تعدُّديّة معنى النَّص":

يشهد لفظ "المعنى" توظيفات متنوعة ومتشعِّبة منذ القدم إلى يومنا هذا، وتؤكد العديد من البحوث النقديّة أنَّ هذا المصطلح استخدم في مواضع مختلفة ودارت حوله مناقشات كثيرة لضبطه، ويعود ذلك إلى طبيعته، لفظاً ومحتوى، وتكاد أغلب الدراسات تجزم على أنَّه مصطلح إشكاليٌّ؛ فهو يعاني من مشكلة جوهريّة في علم اللغة حيث يعد أول اهتماماتها، بينما تناولته النَّظريَّات والآراء النقدية بمفاهيم متضاربة ومتداخلة، لذلك

أصبحت عمليّة فصل مفهوم عن آخر أمرًا شاقًا.[10] وكانت هناك حاجة لمعالجته مصطلح "المعنى" على أصعدة مختلفة فلسفية ونقديّة ولغويّة على مرّ الزّمن بصفة مستمر حيث أنَّه مصطلح يتميز بالحيوية والنشاط، وعليه، يمكن وصفه بالمصطلح المعمر الذي لم تستطع مجالات كثيرة تجاوزه، وقد أدى ذلك إلى "اختلاط مفهوم المعنى بمفاهيم أخرى؛ لاقترابه منها، كالدلالة والتفسير والتأويل، والتفريق بين هذه المصطلحات يصعب على كثير من الدارسين"[11].

يُعدُّ مصطلح "تعدُّديّة معنى النص" مصطلحًا رائجًا في النقد الأدبي وهو مصطلح مركب يشترك مع مصطلح "المعنى" في كثير من المفاهيم، وقد اقتضى الأمر في هذه الورقة البحثية صب الاهتمام على المصطلح المركب للحد من تَشعُّبات مفهوم "المعنى"، كما قد نصادفه على هيئة مصطلح رباعي بزيادة مفردة "الأدبي" لتصبح "تعددية معنى النص الأدبي". وكما هو معلوم أن "تعدُّديّة المعنى" ظاهرة شائعة في الدرس اللغوي والنص الأدبيّ منسوج من اللّغة وتعدُّديّة معنى النَّص يعود إلى امتداد هذه الظاهرة اللّغويّة إليه[12]. وفقًا لذلك، ليس هناك شكٌّ فإن مصطلح "المعنى" يكتسب قيمةً مغايرةً عندما يقترن بمصطلحات أخرى في الخطاب النقدي.

1. العلاقة بين "تعددية معنى النص" والمناهج النقدية:

شهدت الساحة النقدية مناهج متعددة، لكل منها نقطة انْطلاق لاستخراج معاني النّص المتضمّنة والمكتنزة في النُّصوص الأدبية، على غرار التّحليل النّفسيّ، والتّحليل البُنيويّ، والتّحليل السّيميائيّ وغيرها كثير. "إن الإدماج العام للنقد في الجامعات أدى إلى تعددية احترافية مقننة مفادها أن النقاد من مختلف المدارس والتوجهات يساهمون، كل بطريقته المتميزة، بتبصرات متنوعة، في جسد الفهم والتقييم النقديين، وهناك اتفاق أنه ليس بإمكان أي ناقد أو مدرسة نقدية أن يدعي امتلاك الاقتراب الصحيح والوحيد من الأدب؛ ولذلك لم تكن هناك حاجة للاصطدام (أو حتى النقاش) بين المدارس المتنافسة إذا التزم كل واحد بعدم مهاجمة الآخر وقد عبر عنه ببروتوكولات التعايش السلمي [...] وكانت أول نتيجة لهذه التعددية الاحترافية هي الإنتاج الوفير لتأويلات أو "قراءات" (وهو المصطلح الجديد المفضل في هذه المرحلة) للنصوص الأدبية"[13]، والتعددية هي مصدر صناعي يدل على التنوع والاختلاف والمغايرة واحتساب وعد المعاني النّاتجة التي تفوق معنى واحدٍ أيْ تتجاوز المعنى الوحيد للنّص. وبعبارة أخرى، إنَّها عمليّة تجاوز قراءة نقديّة واحدة.

وقد تطرق الناقد أحمد يوسف لأنواع هذه القراءات المحتملة تحت عنوان "تعدُّديّة القراءة" التي يمكن نذكر بعض منها: تحليل نص أدبي واحد من قبل ناقد واحد بمنهجين مختلفين أو أكثر - تحليل نص أدبي واحد من قبل عدة نقاد بمنهج واحد أو بعدة مناهج... وغيرها[14]. وربما يجعلنا هذا الطرح ندرك بأن مفهوم تعددية معنى النص يساوي أو يكافئ مفهوم تعددية المناهج النقدية، أو على حد تعبير محمد الدغومي أن تعدد "القراءات" هو "تعدد المقاربات"، وعلى اختلاف مبادئ المناهج يتم تحليل النص الأدبي وفق استراتيجياتها[15].

وممّا جاء في " قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيّ" لرشيد بن مالك تحت مصطلح "القراءة": ((القراءة هي تلك العملية التي تبرز معنى ما من معاني النص بواسطة عدد من المفاهيم وبناء على اختيار مستوى معين يتم اختراق النص على أساسه [...] إنّ السؤال المطروح إنما حول مفهوم القراءة يتعلق بمعرفة ما إذا كانت قراءة واحدة كافية للنص المعطى أم لا))[16]؛ نلاحظ أنه يقصد أن قراءة واحدة تنتج معنى واحد، وأن قراءات متنوعة تنتج معانٍ متعددة للنص الأدبي، إذن فهو يستحضر مفهوم "تعددية معنى النص" ولا يستحضر داله.

وفي موضع آخر، يستحضر العديد من المصطلحات التي نستشف من سياق عرضها أنها تحمل نفس مفهوم "تعددية معنى النص" ومما جاء في ذلك: ((بما أن القراءة تقوم على اختيارات داخل ما لانهاية العلاقات الدالة، فإنها تبقى دائما مستمرة. يمكن أن تكشف وتبني علاقات جديدة، يمكن أن تتقاطع مع نصوص جديدة، وقد تبرز إلى الوجود معاني جديدة. ومن هنا فإن المسارات المختلفة والممكنة هي التي تفتح بالضبط جمعية القراءات. [...] لا تدلل تعددية القراءة على الإطلاق أننا نستطيع أن نقرأ أي شيء في النص [...] فإن قانون النص يمنع ويبيح: يمنع أن نقرأ أي شيء ويبيح جمعية القراءات))[17]، ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن المفهوم حاضر بواسطة مترادفات إجرائية وهي: (معاني جديدة، جمعية القراءات، تعددية القراءة)، وكلها تدل على أكثر من معنى واحد للنص ولكن النقاد لم يعتادوا على استعمالها.

كما تطرق لمصطلح "تعدد المعاني" الذي يقابله بالإنجليزية Polysememai حيث لم يقصد هنا معاني النص، بل تحدث عن معاني الألفاظ كما جاء في الدرس اللساني الغربي، ولا سيما منه درس السيمياء[18]، وربما كان فصله بين مصطلح "تعدد المعاني" ومصطلح "تعددية معنى النص" متعمدًا؛ فالدراسات المتقدمة تجعل من تعددية معنى النص ليس فقط على المستوى الدلالي، بل تستخدمه لدلالة على الأسباب غير اللغوية.

أما في معجم "مصطلحات عربية ما بعد البنيوية" فجاء تحت مصطلح "التأويل" Interprétation: ((لعل أبسط التعابير الدالة على التأويل وضروراته هي الإجماع على القول بالتعددية الدلالية، سواء تعلق الأمر بالكلمة أو بالوقائع غير اللسانية))[19]؛ وهنا يبرز مصطلح آخر "التعددية الدلالية"، وكما هو متعارف عليه أن لفظة دلالة تستعمل بكثرة على مستوى الدرس اللساني غير أنها تجعل منه مفهوما فضفاضا وتتوسع في توظيفه وتقحمه على المستوى غير لساني.

وفي المجال نفسه تم ورود مصطلح تعددية القراءات والتأويلات بنفس مفهوم تعدد المعاني في النص الأدبي وفي ذلك تقول: ((سيقود القراءة إلى استحضار كل التأويلات الممكنة استنادا فقط إلى ربط دلالي يفصل بين المعرفة التي تقدمها العلامة [...] وهناك تيار ثان يعترف بتعددية القراءات ولكنه يسجل في الوقت ذاته محدوديتها من حيث العدد والحجم وأشكال التحقق. [...] وهذه الغايات هي التي تجعلنا نقبل ببعض التأويلات ونرفض أخرى))[20]؛ فقد وضحت بأن هناك شبه تطابق بين التأويل والدلالة من حيث التصور.

أما "معجم قاموس مصطلحات النقد" لسمير حجازي، فيدرج ثلاث مصطلحات مركبة بمفهوم واحد في أماكن مختلفة ويتحدث عن النص الأدبي فقط، متجاهلًا الإشارة إلى مفهومه في الدرس اللغوي. والجدول التالي يبين ذلك[21]:

	مقابله في اللغة الفرنسية	مقابله في اللغة الإنجليزية	النص المقتبس
تعدد المعنى	Polysémique	Multi Significance	"مصطلح يستخدم للإشارة إلى كل قارئ في مرحلة معينة يكتشف جانب من معنى النص الظاهر أو الكامن، وفقا لظروفه الثقافية والنفسية والاجتماعية. باعتبار أن النص الأدبي نص مفتوح الدلالة والمعاني والأفكار"
تعددية النص	pluralité du texte	Plurality of the text	"مفهوم يستخدم للدلالة على وجود عدة زوايا للنص وأن قراءة هذا الأخير ليست قراءة واحدة أو ثابتة نظرا لأن النص يتضمن دلالات أو معاني عديدة يمكن اكتشافها من خلال هذه الزاويا"
مدلول متعدد المعاني	Signifiont polysémique	Multi-significance	"مصطلح يشير إلى صورة أو فكرة في نص أدبي معين لكنها (الصورة أو الفكرة) غير محددة تحديدا لغويا كامنا أو ظاهرا في النص يتوصل إليها الناقد من خلال التحليل التوليدي"

يساوي سمير حجازي بين "مدلول متعدد المعاني" و"تعدد المعاني" عند ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، وهنا تكمن المفارقة بين عرض الناقد رشيد بن مالك وعرض الناقد سعيدي حجازي؛ فالأول يميز بين مفهوم تعدد المعاني في الدرس اللغوي والتعامل معه في المناهج النقدية، والثاني يجعل من تعدد المعنى ظاهرة منتشرة في النص الأدبي ولا تقتصر على الدرس اللغوي فحسب، بل يجعلها جزءً من عملية الفهم. ونجد الناقد محمد مريني يوظف مصطلح "polysémie" ويقابلها بترجمة "تعددية الدلالة" حين أزمع على شرح منهج غولدمان وتوجهه الفكري الذي كان يؤمن بـ "وحدانية المعنى" "Monosémie"، فهو يقابل المصطلح في لغته الأصلية مفردًا لكنه يعيده مركبًا، وهذه سمة سائدة في جميع المصطلحات التي تم ترجمتها[22].

إن تضارب المصطلحات وتعددها وتذبذبها بين مفهومين فقط في النقد العربي، يقودنا لتقصي هذه المصطلحات في النقد الغربي، وقد تأتت الحاجة عند تواجد أكثر من مصطلح يستعمل كمقابل في اللغات الأجنبية، حيث أن البحث في "قاموس أكسفورد المختصر" تحت وحدة "Polysemy" إلى تأكيد أن المصطلح والمفهوم نشأ واستخُدم في البداية من قبل اللسانين المعاصرين، ثم سرعان ما توسع مفهومه ليشمل النظريات الأدبية[23]. ثم يستحضر المصطلحات الأخرى ويجعلها متساوية من حيث الدلالة، ونذكر منها على التوالي: "Multiple meaning" و"plurisignation"، وقد أشار، أيضًا، لمصطلح أعمق منهما "Ambiguit" والذي يتوافق مع مصطلح "الغموض"؛ والغموض هو الانفتاح على تفسيرات مختلفة، حيث اعتبر هذه التفسيرات شكلا من أشكال عدم الوضوح واللبس الذي ينتج عنه معان متعددة، ويعتبره المعاصرون مصطلحا مركزيًا، وهو أحد الأسباب الكامنة التي من شأنها تجعل النص تعدديًا[24].

ومن البديهي أن يكون مصطلح "الغموض" دخيلًا وغير مباشر إذا ما تم مقارنته بالمصطلحات الواردة في هذه الورقة البحثية، حيث أنه غير واضح ويحتاج إلى شرح وتدقيق حتى يدرك الباحث الأكاديمي أنها إحدى نتائج تحليل النصوص التي تؤدي إلى معاني متعددة من منطلق فلسفي.

قد يرغب البعض استعمال مصطلح "الاختلاف" الذي يقابله في اللغة الإنجليزية "Difference" بدلا من " تعددية معنى النص"، وهو من بين المصطلحات الشائعة في النقد. حيث تم تبنيها "في الفكر ما بعد البنيوي وما بعد الحداثي، يتم التأكيد دائمًا على الاختلاف، لا على الوحدة، ويتم النظر له على أنه جانب صميم من جوانب الأمور البشرية. وينظر إلى الأنظمة، والنصوص، على أنها تتميز بالاختلاف داخليا وغير قادرة على تحقيق الوحدة؛ فهي بالأحرى تمنح نفسها تأويلات متعددة"[25]. وقد استعمل هذا المصطلح في النقد العربي القديم ولطالما استخدمه الأصوليون للدلالة على تعدد وجوه المعاني وتضاربها، وتشير الجهود النقدية الحثيثة إلى أن جلّ استعمالاته كانت ضمنية أكثر من تعيين المصطلح وإعلانه[26].

وقد جاء في قوله تعالى[27]:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

ومما أوضحه السيد طنطاوي في شرح الآية الكريمة بقوله؛ ((المراد بالاختلاف: تباين النظم، وتناقض الحقائق، وتعارض الأخبار، وتضارب المعاني، وغير ذلك مما خلا منه القرآن الكريم لأنه يتنافى مع بلاغته وصدقه))[28]؛ إذن تعددية المعاني في النصوص الأدبية أو الدينية من الموضوعات التي أثيرت منذ العصور القديمة، لكنها لم تكن لها سمات بارزة، لذلك غالبا ما كان يتناولها النقاد القدامى على المستوى اللفظ والمعنى. وعليه، يمكن القول إن مفهوم الاختلاف عند النقاد الغربيين يتفق إلى حد كبير مع مفهومه في النقد العربي، ومن الأفضل استخدام مصطلح "الاختلاف" على حساب "تعدد معنى النص" كضرب من ضروب إحياء التراث، وجانب من جوانب التبسيط.

تم تضمين وحدة "Pluralism" / التعددية" في كتاب "النظرية النقدية" بمفهوم عمومي غير خاص بالنص الأدبي؛ ويقول في ذلك الناقدان بورين فان لوون وستيوارتStewart /L- Van /Y: ((الالتزام بتأويلات متعددة ورفض فكرة السلطة المركزية غير الخاضعة للمساءلة، سواء أكان ذلك في الأمور النقدية أم السياسية. ويرفض التعدديون أن يميزوا أو يفضلوا أي تأويل لنص أو موقف إيديولوجي، ويشجعون على التنوع والتغاير))[29]؛ ومما نستشفه هو إخراجها من دائرة الدرس اللغوي إلى الفكر الإيديولوجي واتجاهاته. وأما على المستوى الصرفي؛ فقد استعملت مجردة أي أحادية غير مركبة مما جعلها مصطلحا ذات دلالة أوسع يتجاوز المفهوم، فلو تم ربطها بمصطلح آخر كمعنى أو نص لكانت ذات دلالة ضيقة وبقيت محصورة في النقد. ومن ناحية أخرى نجد بعض النقاد العرب يستعملون "تعددية النص" لمناقشة تعدد المعاني في النصوص الشعرية كمصطلح يناقض "الوحدة العضوية" للقصيدة العربية التي تكون أبياتها مترابطة وتنهض على موضوع محدد[30].

اننا نشهد تراكما مصطلحيا حينما نريد رصد المصطلحات الدالة عن ظاهرة تعدد معاني النصوص الأدبية وكان من بين هذه الأسباب هو تعدد الاتجاهات النقدية، فكثيرا ما نجد مصطلح "قراءات" أو "تأويلات"

و"مدلول" و"دلالات" تدل على تعدد معاني النص؛ فإذا ما سلمنا بأن كل منهج سينتج معنى واحد فقط لنص معين سيقودنا حتمًا لمعاني عديدة.

إن التراكم المصطلحي لهذا المفهوم يعكس حقيقة تعددية المصطلح النقدي الحرج، فهو أمر واقع لا مرد له الآن، وليس في وسعنا غلق باب التعامل مع مصطلح آخر. على حساب آخر. أو توحيد جميع المصطلحات القابعة تحت مفهوم واحد أو مفاهيم ذات صلة أو نخول لأنفسنا استخدامها على صعيد واحد، وبالتالي ممن الممكن إدراك أنه ليس لدينا الحدّ الأدنى من الطرق لفك هذا التداخل المفاهيمي والمصطلحي.

2."تعددية معنى النص" والمصطلحات المتجاورة:

تأثرت اتجاهات النقدية والمدارس الحداثية بتعدد المناهج، مما ترتب عن ذلك قراءات مختلفة للنص الواحد، وشجع ذلك بعض المفكرين لصياغة نظريات نقدية تواكب روح العصر، وتمثل تعددية المعاني النهائية أو لا نهائية من أبرز سمات العصر، ويقول في ذلك الناقد سعيد السقا: ((كي نكون قد كشفنا عن جميع الأفكار والمبادئ التي تمثل جذور الحداثة وما بعدها (وساهمت في تشكيل فكر الحداثة وما بعدها) هذا من جهة ومن جهة أخرى نحاول الكشف عن تلك الجذور التي أثرت في فكر الحداثة وما بعدها (التفكيكية والفينومينولوجيا والتلقي والتأويل) ليتجه عامة إلى الأخذ بأفكار مثل نسبية (الحقيقة) واحتمالية)(المعرفة، وتعدد أو لا نهائية <المعنى>، والانفتاح على الآخر والتوجه نحو فوضى التفسيرات، وغير ذلك من أفكار تمثل شبه عامل مشترك بين نظريات النقد في فكر ما بعد الحداثة))[31]؛ بعد أن وجدنا التعددية تلقائيًا في نصوص ما قبل الحداثة أصبح النقاد يدعون إلى تجسيدها في النص.

إن المزاوجة بين تيار نقدي معين ومبدأ تعددية معاني النص أفرز مصطلحات كثيرة متجاورة، ونقصد بالمصطلحات المتجاورة تلك المصطلحات التي تتلاقى مفاهيمها أو تتداخل وهناك ارتباط بينها سواء كان ظاهرًا أم خفيًا. وأدى تكاثر المصطلحات المتجاورة إلى تفاقم مشكلة مصطلح "تعددية معنى النص" وتأزم وضعه النقدي، ومن ثم يتحول مشروع ضبط المصطلحات إلى محاولة فهم كينونة المناهج الحداثية وما وراء ذلك الذي يتبنى فكر التعددية.

إن اسهامات مختلف التيارات الفلسفية وغيرها في البحث عن معنى النصوص الأدبية أفرز مجموعة من المصطلحات التي هي على اتصال مباشر بمفهوم "تعددية معنى النص"، وهناك ارتباط بينها، حيث تتشكل قرينة بين مصطلح وآخر وهذه القرينة تكون مثل الخيط الرفيع في معظم الحالات، ولدينا في العرض الموالي سردا لمختلف تلك المصطلحات ولا نزعم أننا حصرناهم جميعا، فقد اخترنا أشهرها ومنها نذكر مع شيء من التفصيل:

1.2. المعنى المزدوج /المعنى المضاعف/ المعنى الإيحائي/ ظلال المعنى/ المعنى الضمني :

هناك حشد من المصطلحات يبدو أنها تحمل نفس مفهوم "المعنى المزدوج/ Double-meaning" الذي وظفه بول ريكورP/Ricoeur في مؤلفاته، بينما ترجمها منذر عياشي ب "معنى المضاعف"، ومما جاء في

ذلك: ((ولقد سميت هذه القضية قضية المعنى المضاعف. وإني لأشير هنا إلى ضرب من أثر المعنى، والذي نجد بموجبه أن أي تغيير له أبعاد متغيرة، فهو إذ يعني شيئًا، فإنه يعني في الوقت نفسه شيئًا آخر، من غير أن يتوقف عن أن يعني الأول. وبالمعنى الحرفي للكلمة، فإن هذا يتمثل في الوظيفة للغة (فالمجاز هو أن يقول المرء شيئًا آخر وهو يقول شيئًا ما))[32]، وهذا يتقاطع مع ما ورد في ترجمة سعد الغانمي لكتابه "نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى"، ومما جاء فيه: ((ولنفترض مؤقتًا أنني مصيب في بنية المعنى المزدوج، وهي بنية ليست دلالية خالصة، وهذا يصحّ، كما سنرى، في حالة الاستعارة أيضًا. ولكن إذا ساعدتنا نظرية الاستعارة بوصفها تحليلا تمهيديا يفضي إلى نظرية الرمز، فإن نظرية الرمز في المقابل، ستتيح لنا توسيع نظريتنا عن الدلالة، بإتاحتها لنا أن نضمن فيها ليس المعنى اللفظي المزدوج فقط، بل المعنى اللا- لفظي المزدوج أيضًا. وهكذا سيساعدنا كل من الاستعارة والرمز في أن نرسم حدود الميدان الذي نستطيع أن نوسع به نظرية التأويل، لكي نناقشها في المقال الختامي))[33]؛ ويعتبر المجاز والاستعارة ضربا من ضروب علم البلاغة.

وإلى جانب المصطلحين اللذين ذكرناهما أنفا، نجد مصطلحات أخرى منافسة، وقد أتت في شكل ثنائيات ونذكر منها: (Connotation/Dénotation، التعيين/التضمين، المعنى الوضعي/المعنى الإيحائي، الدلالة المعجمية/ظلال المعاني)، حيث كشفت عملية تتبع ترجمة هذين المصطلحين من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية ما يفوق عشرين مصطلحا[34]، والأمر سيان عند أهل النقد الغربي إذ يستعمل غلودمانY/Goldman مقابل لها مصطلحي في لغتها الأصلية Dénotation Métaphorique/ (Dénotation Littérale)[35]، ولعل الشرح الذي أدلى به سعيد بنكراد يسهم في تأكيد ما تطرقنا إليه في هذه القضية في أن هذه الثنائيات هي نفس ما قدمه بول ريكور تحت مسمى "المعنى المزدوج" حينما أكد أن هذه الثنائية تعمل على كشف المعاني المستترة في المعاني الظاهرة أثناء عملية التأويل[36]، وهكذا فثمة مجموعة ضخمة من المصطلحات سواء كانت في لغتها الأصلية أو مترجمة، تجيب عن سؤال: أين تتمفصل تعددية المعاني في النص الأدبي؟

2.2. النص المفتوح/ العمل المفتوح/ الأثر المفتوح:

شاع في الدراسات المعاصرة استخدام مصطلح "الأثر المفتوح"، وكان الدافع وراء استخدامه مواكبة مستجدات العصر، ويعود بفضل الناقد الفذ أمبرتو إيكو الذي أنشأه ورسخه، من خلال كتابه الشهير بلغة الأصلية الإيطالية "Opera Aperta"، حيث نجد لهذا المصطلح عدة مقابلات باللغات اللاتينية أو عند ترجمتها إلى العربية، كما هو مبين في الجدول الآتي:

المصطلح مترجم إلى اللغة العربية	المصطلح باللغة أجنبية	صاحب الترجمة إلى العربية	المرجع
الأثر المفتوح	L'oevre Ouverte (بالفرنسية) Opera Apert (بالإيطالية)	عبد الرحمان بوعلي	الأثر المفتوح
	The open Impact (بالإنجليزية)	عبد القادر فيدوح	الأثر المفتوح "دراسة الشعرية في نماذج من القصيدة الخليجية" (مقالة)
العمل المفتوح	The open work (بالإنجليزية)	ياسر شعبان	حكايات عن سوء الفهم
	L'oevre Ouverte (بالفرنسية)	أنطوان أبو زيد	القارئ في الحكاية
النص المفتوح	Open text (بالإنجليزية)	عيساني بلقاسم	النص المفتوح في الشعر الجزائري
		محمد عبد المطلب	النص المفتوح والنص المغلق (مقالة)
النص المختلف	/	عبد الله الغذامي	المشاكلة والاختلاف
		أحمد يوسف	القراءة النسقية

ومما ورد في الجدول نستنتج أن المصطلح يشهد، أيضا، عدة ترجمات تتكون من مفردات ذات دلالات متقاربة، وهذا المصطلح من أبرز المصطلحات التي تعالج قضية تعددية معاني النص، ولا يمكننا الجزم أن الجدول يحصر جميع المقابلات، على سبيل المثال، يستخدم الغذامي مصطلحا جديدا وغير مألوف "النص المختلف"[37] مثلما استخدمه الناقد أحمد يوسف[38]. ويفضل بعض النقاد استعمال مصطلح "مفتوح" أو "انفتاح" أو "منفتحة" بالمفهوم ذاته، وما يعنيه "الانفتاح" هو الاضطلاع على أكثر من معنى، وهذا يجسد قابلية تأويل العمل الفني ككل والنص الأدبي على وجه الخصوص، حيث أن هذا التأويل يتعدى الجانب اللغوي إلى ظواهر أخرى مثل ظاهرة الغموض في الخطابات الأدبية، وخلق أشكال جديدة من النصوص الأدبية القديمة وإضفاء طابع فني معاصر عليها[39]، ومن بين المصطلحات البديلة التي تعبر عن نفس المفهوم في الفلسفة التأويلية نذكر "الأفق" و"الغموض" و"اللاتحديد" في المفهوم الإيكويّ[40].

بعد فترة طويلة من تعايش المنظرين مع مسألة "الانفتاح" كقضية نقدية حداثية، أتى إيكو ليحصد ثمار مفهوم الانفتاح لدى الفلاسفة، والذي يعتمد مفهومه على ترسانة المفاهيم الفلسفية على غرار التأويل، والفهم والمعنى، لإنتاج مصطلح آخر يزاحم المصطلحات المشتقة منه تحت مسمى "الأثر المفتوح" ويتميز هذا المفهوم بالوضوح والدقة، وإن التصور الذي قدمه حول "الأثر المفتوح" ينطلق من "نظرية التلقي" التي تهدف إلى ترك المجال مفتوحا للقارئ لتشغيل آلته المعرفية لاستخراج أكثر من معنى للنص وتجاوز المعنى الحرفي الذي يعتبر عند بارتr/Barthes قراءة استهلاكية، "إن العمل الفني هو شكل كامل ومغلق في تفرده ككل عضوي متوازن، بينما يشكل في الوقت نفسه منتجا مفتوحا بسبب قابليته للتأويلات المختلفة التي لا تعد ولا تحصى والتي تمس خصوصيته غير القابلة للاختزال. ومن ثم، فإن كل استقبال لعمل الفني هو تفسير له وأداء له، لأنه في كل استقبال يأخذ العمل منظورا جديدا لنفسه"[41]، فصفة المفتوح تمنح إلا لبعض الأعمال الفنية التي تحقق مرتبة الاكتمال من حيث الشكل والمحتوى، وتصنف من بين الروائع الفنية.

يردد الكثيرون المفهوم السيميولوجي المتمثل في: ((كأثر نجد فيه دعوة إلى ازدواج وتشابك الدلالات))[42]، ربما أتاح الاتكاء على المفهوم السيميولوجي للبعض الاستغناء عن المكونات التي تخلق النص المفتوح وتكريس جل دراساتهم للجانب اللغوي الغامض وتحري الإيحاءات لإنتاج المعاني[43]، لأن إيكو خول

للقارئ اختيار النظام النقدي الذي يرغب فيه عند تحليل الأثر الواقع بين يديه لكنه لم يترك العنان التحرر من قواعد تحليل النصوص في نفس الوقت[44].

أدت ترجمة مصطلح "Aperta" إلى عدة لغات، بما في ذلك الفرنسية والإنجليزية، إلى ظهور العديد من المصطلحات المقابلة في النقد العربي مثل "الأثر" أو "العمل"، ومع ذلك، تمت ترجمة الكلمة الأخرى "Opera"، بشكل متفق عليها، بـ "المفتوح". و"الأثر المفتوح" بمفهوم إيكو هو ذلك المنتوج الذي يحكمه نظام معين ولا نستطيع تعديله أو الاستغناء عن بعض أجزائه، ويكون معروفا عند العامة وفي كل مرة يدفعنا لإعادة تأويله، وهذا ما يجعلنا نصفه بالنص السرمدي الذي يستمر بالعيش فينا وفيمن بعدنا لأزمنة طويلة غير محددة، وقد يكون وقت ولادته من الزمن البعيد جدا مثل النصوص الكلاسيكية، أو من الزمن القريب مثل النصوص المعاصرة. وطبيعته هي التي منحته هذه الخاصية التي تمكننا من اكتشاف معانيه اللامتناهية باستمرار.

خص إيكو مصطلح "النص المفتوح" النصوص الأدبية، ومصطلح "الأثر المفتوح" بجميع أنواع الفنون"، ومن بين المصطلحات المتشابهة مع مصطلح "النص المفتوح"، التي أشرنا إليها سابقا في الجدول، هو "النص المختلف" الذي أتى به الغذامي، وقد جاء في صدده التعريف الآتي: ((النص المختلف هو ذلك الذي يؤسس لدلالات إشكالية، تفتح على إمكانيات مطلقة من التأويل والتفسير. فتحفز الذهن القرائي وتستثير ليدخل النص ويتحاور معه في مصطرع تأملي يكتشف القارئ فيه أن النص شبكة دلالية متلاحمة من حيث البنية، ومتفتحة من حيث إمكانيات الدلالية. وبما أنها كذلك فهي مادة للاختلاف، بمعنى أنها مختلفة عن كل ما هو قبلها، وهي تختلف عما نظنه قد استقر في الذهن عنها. ومع تجدد كل قراءة نكتشف أن النص يقول شيئا لم نلاحظه من قبل، فكأننا أمام نص جديد يختلف عن ذلك الذي عهدناه في قراءات سابقة. هذا هو النص المختلف، الذي تشير إليه مقولات الجرجاني))[45] ؛ وما نلاحظه من هذا القول أنّه اشتق كلمة "مختلف" من كلمة "اختلاف" الشائعة عند الجرجاني والاصطلاح الدريدي وذلك لاعتماد دراسته على هذين المفهومين، ومحتوى المصطلح المطابق للطرح الإيكوي. وفي موضع آخر يقرّ بأن النص الاختلاف هو نفس النص المفتوح، والنص المغلق هو نص عقيم لا ينتج سوى معنى واحد، وهذا يتعارض مع الطرح الإيكوي الذي يجعله أشد انفتاحا على المعاني والتفسيرات[46].

وتتسم المفاهيم التي قدمها عبد الله الغذامي أنها جامعة لمصطلحات الأكثر رواجا في الحقول النقدية العربية التي تدل على تعددية معنى النص، فهو يساوي بين مصطلح "النص المختلف" و"النص المفتوح" و"الاختلاف"، وكذا "الانفتاح" ويزيح الفروق بينها وهذا ما لا نجده عند النقاد الأخرين فصنع منه مصطلح محايدا، لأن استراتيجيات استخلاص المعاني النصية متباينة وليست متطابقة، وتختلف من ناقد إلى آخر. ويبقى توظيف أحمد يوسف لمصطلح "النص المختلف" غير محدد الاتجاه الفكري.

3.2. الثنائية الدريدية (الاختلاف/الإرجاء):

تمخض عن خطاب ما بعد الحداثة مفاهيم تدعو إلى تعددية المعنى وتروج لمصطلح على هيئة ثنائيات ومن أشهرها الثنائية الدريدية (différence/différ (a) nce) و"يقصد دريدا بهذا المصطلح أن يذكر أيضا بأن العلامات تعمل على إرجاء (أو تأجيل) حضور (أو ظهور) ما تدل عليه، وذلك من خلال عملية لا نهائية من تبديل الدوال، فكل مدلول هو أيضا دال، ولا مفر/ من تم، من النظام العلامي، حيث يعتمد المعنى دائما على الغياب"[47]، تعد هذه الثنائية الدعامة الأساسية للنظرية التفكيكية وفق تصور فلسفي يقضي على أي فرضية بسبب ثبات المعنى أو ما لا يمكن تحديده، لأنه في نظره غير نهائي، وقد ابتكر مفهومين جديدين خصيصا لذلك وهما ثنائية (الاختلاف/الإرجاء)، فمصطلح "الاختلاف" لم يشهد أي ترجمة أخرى، في حين مصطلح "الإرجاء" قد شهد ترجمات عدة نذكر أشهرها: (الخلاف، الائتلاف، المرجئ، التأجيل، الفارق، المباينة، المغايرة، الاخــ (ت) ـلاف ....)، ربما أغلب هذه التفسيرات هي قريبة من المفهوم الدريدي، غير أن هناك صياغات لا عهد للغة الفرنسية بها، وهي استثمار تغير كتابة حرف (e) ليتغير معنى الكلمة إذا تم استبدالها بحرف (a) في نفس الكلمة وصنع مفهوما لها يتوافق مع ما يرمي إليه من خلال نظريته التفكيكية، في حين أن هذا التغير لا يشمل تغير صوت الكلمة، وبهذه الطريقة لاحظنا وجود ابتكارات في الترجمة إلى العربية، ومن أغربها (الاختلاف/الأخــ (ت) ـلاف) الذي يوازي ثنائية الدريدية في لغتها الفرنسية الأصلية (différence/différ (a) nce)[48]، وهذه الثنائية الأخيرة من بين الثنائيات التي أفرزها النقد العربي القديم ولا سيما " عند عبد القاهر الجرجاني وقد أعاد بعثها الغذامي، تمثلت ثنائيته في (الاختلاف/الائتلاف) فمحاولته التأصيلية جعلته يتبنى موقفا مغايرا من التعريف الذي قدمه دريدا، فهو يربط المعاني بالألفاظ التي جاءت في النص، أي ينظر إلى الاختلاف في المبنى اللغوي الذي يتجلى على المستوى البلاغي"[49].

4.2. نقد النقد:

إن مصطلح "نقد النقد" Métacritique مصطلح لم يترسخ بعد في الدرس النقدي والشاهد على ذلك قلة الأبحاث التي تناولته، ويوحي لفظه بتعددية المعنى ولكنه على العكس من ذلك حيث من مهامه البحث عن تعددية معاني النص بطريقة مغايرة تماما لأنه ينتقد ما قيل في النقد ويغربله ويمكن أن تكون إحدى الظواهر التي يهتم بها لأن المعاني الناتجة على النص هي اللبنة الأولى للنقد، كما يكمن الفرق في أن مدخل "نقد النقد" يختص بالنصوص النقدية وليست النصوص الأدبية، و"يسعى إلى التفريق بين "النقد" بصفته موضوعا و"نقد النقد" بصفته فعلا يختبر ذلك الموضوع ويدرسه ولا يقول بوجود تطابق بينهما"[50].

5.2. معنى المعنى:

إن مصطلح "معنى المعنى" The meaning of meaning في مفهومه الغربي من اهتماماته تناول قضية تعددية معنى النص وقد أطلق عليها مصطلح "خرافة المعنى الخاص/ Proper meaning superstition"، ويمكن اعتباره مجرد إجراءيهيمن عليه الطابع الاستعاري الذي يستعمل لجذب المتلقي وإثارة

عاطفته لكي يبلغ رضاه وبالتالي قبول طرحه. ويقصد ب"معنى المعنى" عند آ. أ. رتشاردز وت.ك.أوغدين البحث عن ماهية "المعنى" والمراد منه الإجابة عن سؤال: ما معنى المعنى؟ وهو سؤال يقاس على شاكلة مثلا: ما الفيزياء؟ وللإجابة عن هذا السؤال الفلسفي وبعبارة أدق البحث عن مفهوم مصطلح "المعنى" ومحاولة الإجابة عليه هي محاولة لوضع نظرية المعنى [51].

ولكن كان من قبيل المصادفة أن يكون تطابق بين مصطلح "معنى المعنى" إذا ما تم نقله إلى اللغة العربية مع المصطلح عند عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي القديم، فهو يدرس تعددية معنى النص من خلال التوجه للكشف عن المعاني الباطنية للنص بعد الانتهاء من حصر المعاني السطحية، على خلاف المفهوم الغربي عند أصحابه الذي يحاول التنظير لأنواعه ومنشأ تعددية معاني النص، ومن خلال الدرس البلاغي نسج الجرجاني مفهوما لمصطلحه الذي يعني به دراسة دلالة المجاز، فالإيجاز والإيحاء تفيد الاختصار لأنها كثيرة المعنى وقليلة اللفظ، فمن خلال معنى اللفظي يمكن أن نستخرج معانٍ أخرى [52].

ثالثا. أسباب تفاقم أزمة مصطلحات الدالة على "تعددية معنى النص":

إنّ وجود مجموعة من المصطلحات التي تنتمي إلى حقل نقدي واحد ذات توجهات معرفية مختلفة يورط تفكيرنا في فرضية أزمة مصطلح. ويمر مصطلح "تعدُّديّة معنى النص" بأزمة حقيقية غفل الكثير من المختصين عنها، وما سنذكره الآن يشرح أهم الأسباب التي جعلته معضلة يصعب حلها:

1-كثرة الدوال على المستوى اللغة الأجنبية والعربية ومن تلك الدوال باللغة الإنجليزية نذكر: Plysemy- Pluralism- Plurisignation- Multiple meaning – Ambiguit- Difference.

أما باللغة العربية نذكر: تعدد المعنى، تعددية النص، تعدد المعاني، تعددية النص، مدلول متعدد المعاني، تعدد الدلالات، الاختلاف، الغموض، التعددية، تعددية القراءة، قراءات، تأويلات... إلخ

ونلاحظ أن هذه الدوال لا تنتمي إلى حقل دلالي واحد، فهي مختلفة وتنتمي إلى عائلة واحد وعائلتها هي "التأويل، الفهم، الشرح، التفسير، الإيحاء، المعنى...، ونستثني من هذه المصطلحات دال "الغموض" بالإضافة إلى وجود بعض المدلولات المشتركة في نفس الجذر اللغوي؛ لأنها تختلف عن بعضها البعض في الصيغ الصرفية أي على المستوى الاشتقاقي، وعلى سبيل المثال: تعدد وتعددية، مدلول ودلالات، فأحيانا تستعمل بصيغة المفرد وأحيانا أخرى تأتي بصيغة الجمع، كما قد تأتي على هيئة اسم مصدر وأحيانا أخرى على هيئة مصدر صناعي أو مصدر ميمي.

2-يمكن تحديد ثلاثة حقول مفاهيمية رئيسة قد تتداخل فيما بينها، وتمثل هذه المفاهيم أبرز الأسباب التي تشكلت منها ظاهرة تعددية معاني النص، وهي على التوالي:

أ- المفهوم اللغوي: يفضل مستخدمه استعمال مصطلح "تعددية المعاني" لأن القضية التعدد كانت قبل معالجتها على مستوى النص الأدبي ككل، قد عالجت ظاهرة تعدد معاني اللفظ الواحد، وكان اللفظ له دال واحد وعدة

معاني وهذا ما يعرف في الدرس اللغوي القديم بـ "المشترك اللفظي"، أو ألفاظ مختلفة لها مدلول واحد. وكثيرا ما يستعمل هذا المصطلح أصحاب المنهج البنيوي والسيميائي.

ب- المفهوم الفلسفي: ويفضل مستعمله استعمال مصطلح "الغموض" أو "الاختلاف" لأن النصوص الأدبية تحتوي على زخم معرفي ولغوي يؤدي لتعددية مثل ظاهرة الإيحاء وعدم وضوح المعاني.

ج- المفهوم الإيديولوجي: ويفضل مستعمله استعمال مصطلح "التعددية" أو "القراءة"، وغيرها من المصطلحات المتناسلة من المناهج التأويلية أو نظريات القراءة، فأغلب المناهج تحاول ترسيخ فكر الاختلاف والتعدد، فكان حري بهم توظيف مصطلح مفرد غير مركب لإعلام المتلقي انتماؤه الإيديولوجي.

3- نتج عن تطور النظريات النقدية عدة مناهج تتبنى مبدأ التعددية وكل توجه وضع مجموعة خاصة من المفاهيم التي تؤسس لتعدية المعنى وفق الطرح الذي يتماشى وتصوراته، فنشأ عن ذلك عدة مصطلحات متجاورة يمكن أن تتفق أو تتقاطع في المفهوم وتختلف في الدال، وذلك أدى إلى تضخم مصطلحي وتفاقم الأزمة، وكان الدافع الأكبر لنسج مصطلحات جديدة أو إحيائها هو الحاجة النقدية التي تمنح شحنة إيجابية لتحليل النصوص الأدبية وفق استراتيجيات مضبوطة، ومن تلك المصطلحات نذكر: الانفتاح، الأثر المفتوح، ثنائية المعنى الحرفي وظلال المعنى، ثنائية الاختلاف والإرجاء، الكتابة البيضاء... إلخ. وبعض المصطلحات التي لم نشر إليها تأتي على نفس منوالها ونذكر منها: "فائض المعنى"، "المعنى الثالث"، "فهم الفهم"، "المعنى الخطأ"، "التأويل المضاعف" "قراءة القراءات"، "إعادة القراءة... إلخ.

4- تتداخل بعض المصطلحات النقدية مع مفهوم "تعددية معنى النص" وذلك نتيجة تقارب دالها مع دوال أخرى، التي أوردناها سابقا، كما نصادف مصطلحات تعد دخيلة وتوهمنا بأنها تبحث عن تعددية المعنى وهي على خلاف ذلك، ومن تلك المصطلحات "نقد النقد"، فمراد النقد البحث عن معنى النص، أما "نقد النقد" فمن مهامه استحسان استراتيجيات تحليلية وكشف الزائف منها.

5- من مشاهد تضخم مشكلة المصطلح من الناحية اللفظية، أيضا، إحياء المصطلحات القديمة في النقد العربي ومحاولة محاكاة مفهومها التراثي مع المفاهيم الغربية المستحدثة، ومثال ذلك مصطلح "الاختلاف" ومصطلح "معنى المعنى" عند عبد القاهر الجرجاني، فالأول يشابه الطرح الدريدي والآخر لا يوافق طرح أوغدن وريتشارز، إذن التطابق كان على المستوى الدال والتناقض على المستوى المدلول أي المفهوم.

6-وجود عدة مقابلات باللغة العربية عند ترجمتها من اللغة الأجنبية الأصلية إلى العربية، وصعوبة ترجمتها، مثل "الأثر المفتوح" و"العمل المفتوح"، أو وجود ترجمات مختلفة باللغة الأجنبية نفسها؛ فمصطلح "الأثر المفتوح" وضع باللغة الإيطالية لينتقل إلى اللغة الفرنسية ثم اللغة الإنجليزية، فمحاولة الترجمة أدت إلى ظهور لفظين لا تربط بينهما صلة على المستوى المعجمي العربي وهما "الأثر" و"العمل".

7- تحتاج اللغة العربية أحيانا إلى أكثر من مفردة لترجمة مفردة واحدة من اللغة الأجنبية، مثل مفردة (Polysémique)، ترجمت في العربية مركبة "تعدد المعنى".

8-تخلو المصطلحات التي تناولناها من عمليات التعريب المباشر التي تعاني منها بعض الترجمات، وقد احتاج دريدا من ناحية أخرى مصطلح لم يكن له مثيل في اللغة الفرنسية وهذا ما زاد طرحه شعبية وقبولا.

9- إنّ علم المصطلح يحذر من استخدام اللغة الإيحائية للإشارة إلى المصطلح النقدية؛ لأنه يخلق اضطرابا في استيعابه ومن تم في توظيفه، ولكن نلاحظ هذه الترجمة، أيضا، موجودة على مستوى التوظيفي فالبعض نقل "المعنى الضمني" إلى "ظلال المعاني" وجعله بعيدا على مرادفات المصطلح وعائلته.

10- تنهض قضية "تعددية معنى النص" على قضية إشكالية "المعنى"، مما جعل قضيتها كذلك طرحا إشكاليا وساعد على تفاقم أزمتها.

الخاتمة والنتائج:

في الختام، لا يمكننا القول إننا ندعي جمع كل المصطلحات التي تشير إلى "تعددية معنى النص" الذي قدمناه، حيث أن القائمة لاتزال مفتوحة، لكننا أزعمنا على جمع أكبر قدر ممكن منها لفهم فحوى مضمونها، ومن بين النتائج التي توصلنا إليها نورد:

-يتجاهل العديد من النقاد الصيغة المركبة الثلاثية أو الرباعية لمصطلح "تعددية معنى النص الأدبي" ويكتفون بتوظيف الصيغة الثنائية "تعددية المعاني" غير أن الصيغة الثنائية كثيرا ما تستخدم في الدرس اللساني على المستوى اللغوي، وانتقلت إلى تعددية النص باعتبارها ناجمة عن امتداد هذه الدراسة، غير أن هذا التوظيف يعد تشويشا على الباحثين غير المتمرسين؛ لأن تعددية معاني النص لا تنحدر من التعدد اللفظي فقط، بل تتجاوزه لمستويات أخرى مثل شكل النص.

-يمكن ضم إشكالية مصطلح "تعددية معنى النص" إلى الأزمات الاصطلاحية الأخرى التي يشهدها النقد العربي والتي باتت تؤرق الباحثين، فقضية هذا المصطلح تم معالجتها منذ أزمنة قديمة ومازالت قيد الدراسة والتطبيق.

-تتفاوت أسباب التأزم المصطلحي فهو يعود إلى اتساع حقلها الدلالي، فيمكن أن نجد عدة دوال لمفهوم واحد أو عدة مفاهيم.

-إن تطور الدراسات وتعدد المناهج الأدبية ترتب عنه نتيجتين؛ النتيجة الأولى على مستوى تحليل النصوص الأدبية حيث أدت إلى تعدد معاني النص فكل منهج كان ينتج معنى وحيدا للنص وتجميع هذه المعاني أدى إلى تكاثرها وعدم استقرارها على معنى واحد، بالإضافة إلى ظهور فئة من النقاد تتبنى مبدأ الاختلاف والحرية في قراءة النصوص وفق رغبة الجمهور والتخلي عن سلطة القراءة البرجوازية، وبتعبير آخر بروز مناهج نقدية تدعوا إلى تعددية وخلق نصوص معاصرة تهدف إلى تعدد معاني النص.

وأما النتيجة الثانية على المستوى الاصطلاحي باعتباره أداة نقدية للمناهج فقد أدت إلى بروز الكثير من المصطلحات والمفاهيم الدالة على تعدد معاني النص الأدبي التي تنتمي إلى عائلة مصطلحية واحدة مما أدى

إلى تراكمها، ونشأ عن ذلك أزمة مصطلحية نقدية، ومن تلك المصطلحات نذكر: الانفتاح، النص المفتوح، ثنائية الاختلاف والإرجاء، فائض المعنى، الغموض... إلخ.

هوامش:

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (2008)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص 53.

[3] ينظر، محمد صامت: إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر، (2008)، رسالة ماجستر، جامعة وهران السانية/الجزائر، ص3.

[4] عباس عبد الحليم عباس: المصطلح النقدي والصناعة المعجمية "دراسة في المعاجم المصطلحية وإشكالاتها المنهجية"، (2015)، دار كنوز المعرفة (عمان)، ص 33.

[5] ينظر، يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص.ص 52 . 53.

[6] ينظر، محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (د.ت)، مكتبة غريب (القاهرة)، ص 228 . 229.

[7] ينظر، عباس عبد الحليم عباس: المصطلح النقدي، ص.ص 25 . 33.

[8] ينظر، عبد الرزاق جعنيد: المصطلح النقدي وإشكالات، (2011)، عالم الكتب الحديث (الأردن)، ص.ص 16 . 18 .

[9] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح النقدي، ص 52.

[10] ينظر، علوي أحمد الملحمي: المعنى الإيحائي "بين التراث النقدي العربي والسيميائيات الحديثة"، (2018)، دار الأيام (الأردن)، ص. ص. ص 23، 24، 25.

[11] المرجع نفسه، ص 26.

[12] ينظر محمود عبد الغني: معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة العربية، (2017)،منشورات المتوسط (إيطاليا)، ص 15.

[13] كريس بولديك: النقد والنظريات الأدبية منذ 1890، تر: خميسي بوغرارة، (2004)، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات جامعة منتوري (قسنطينة)، ص 184 .

[14] ينظر، أحمد يوسف: القراءة النسقية، "سلطة البنية ووهم المحايثة"، (2007)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ص 470

[15] ينظر، محمد الدغومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، (1999)، مطبعة النجاح الجديد(البيضاء)، ص277 .

[16] رشيد بن مالك: قاموس تحليل السيميائي للنصوص، (2014)، عالم الكتاب الحديث (الأردن)، ص 16.

[17] المرجع نفسه، ص 236.

[18] ينظر، المرجع نفسه، ص 143.

[19] حياة لصحف: مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، (2013)، المجلس الأعلى للغة (الجزائر)، ص 83.

[20] المرجع نفسه، ص 86.

[21] سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، (2001)، دار الآفاق (الجزائر)، ص . ص. ص. 13، 108، 109.

[22] ينظر، محمد المريني: مدارات القراءة "تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية"، (2015)، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع (عمان)، ص 165.

[23] Chris Baldick: The concise Oxford Dictionary of Literary Terms, (2001), Oxford university press inc (New york), p 199.

[24] Ibid, p 6.

[25] بورين فان، ستيوارت: النظرية النقدية، تر: جمال الجزيري، (2005)، المجلس الأعلى للغة (الجزائر)، ص 179.

[26] سعيد بنكراد: الخلاف والاختلاف، (2011)، علامات "مجلة علمية محكمة" (د.ب)، د. مجلد، ع 35، ص 92 .

[27] القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، الآية 82.

[28] محمد السيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم "تفسير سورة النساء"، (1983)، مطبعة السعادة (د.ب)، ص 309.

[29] بورين فان، ستيوارت: النظرية النقدي، ص 183 .

[30] ينظر، محمد فايد هيكل: الوحدة والتعددية في القصيدة العربية بين القديم والحديث،(2022)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع (مصر)، 83.

[31] سعيد محمد محمد السقا: جذور الحداثة وما بعد الحداثة، (2014)، دار الوفاء (الإسكندرية)، ص 293.

[32] بول ريكور: صراع التأويلات "دراسات هيرميوطيقية"، تر: منذر عياشي، (2005)، دار الكتاب الجديد المتحدثة (إفرنجي)، ص 99.

[33] بول ريكو: نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، تر: سعيد الغانمي، (2006)، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ص 84.

[34] ينظر، يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح النقدي، ص 382.

[35] ينظر، المرجع نفسه، ص 387 .

[36] ينظر، سعيد بنكراد: سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، (2012)، دار الأمان (الرباط)، ص 71

[37] ينظر، عبد الله الغذامي: المشاكلة والاختلاف "قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه والمختلف"، (1994)، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ص 6 .

[38] ينظر، أحمد يوسف: القراءة النسقية، ص 29.

[39] ينظر، بول ريكور، صراع التأويل، ص 101.

وينظر أيضا، أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية "التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية"، تر: أنطوان أبو زيد، (1996)، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، ص 9.

[40] ينظر، وحيد بن بوعزيز: حدود التأويل "قراءة في مشروع أمبرتو إيكو"، (2008)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ص 27.

[41] Umberto Eco: the poetics of the open work, translated by Anna cancogni, university press, Cambridge (massachustts) , p 4

[42] أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، تر: عبد الرحمان بن بوعلي، (2013)، دار الحوار (سوريا)، ص 134.

[43] المرجع نفسه، ص 23.

[44] المرجع نفسه، ص 135.

[45] عبد الله الغذامي: المشاكلة والاختلاف، ص 6.

[46] المرجع نفسه، ص 78.
[47] دنيال تشاندرلز: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، تر: شاكر عبد الحميد، (2002)، أكاديمية الفنون (القاهرة)، ص 35 .
[48] ينظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، ص 362.
[49] ينظر، المرجع نفسه، ص 364.
[50] ينظر، ينظر، محمد الدغومي: نقد النقد، ص 113.
[51] ينظر، كيان أحمد حازم يحي: اللغة بين الدلالة والتضليل "دراسة نقدية على هامش (معنى المعنى) لأوغدن ورتشاردز، (2015)، دار الكتاب الجديد المتحدة (ليبيا)، ص 336.
[52] ينظر، عز الدين إسماعيل: قراءة في "معنى المعنى" عند عبد القاهر الجرجاني، فصول مجلة النقد الأدبي، (سبتمبر 1987)، الهيئة المصرية العامة (مصر)، مج7،ع4/3، ص 37.

قائمة المصادر والمراجع

كتب باللغة العربية:

1. أحمد يوسف: القراءة النسقية، "سلطة البنية ووهم المحايثة"، (2007)، منشورات الاختلاف (الجزائر).
2. سعيد بنكراد: سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، (2012)، دار الأمان (الرباط).
3. سعيد محمد محمد السقا: جذور الحداثة وما بعد الحداثة، (2014)، دار الوفاء (الإسكندرية).
4. عباس عبد الحليم عباس: المصطلح النقدي والصناعة المعجمية "دراسة في المعاجم المصطلحية وإشكالاتها المنهجية"، (2015)، دار كنوز المعرفة (عمان).
5.عبد الرزاق جعنيد: المصطلح النقدي وإشكالات، (2011)، عالم الكتب الحديث (الأردن).
6.عبد الله الغذامي: المشاكلة والاختلاف "قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه والمختلف"، (1994)، المركز الثقافي العربي (بيروت).
7.عزيز حسين علي الموسوي: مفهوم النص المفتوح "في النقد العربي الحديث"، (2015)، الدار المنهجية (عمان).
8.علوي أحمد الملحمي: المعنى الإيحائي "بين التراث النقدي العربي والسيميائيات الحديثة"، (2018)، دار الأيام (الأردن).
9. كيان أحمد حازم يحي: اللغة بين الدلالة والتضليل "دراسة نقدية على هامش (معنى المعنى) لأوغدن ورتشاردز، (2015)، دار الكتاب الجديد المتحدة (ليبيا).
10. محمد السيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم "تفسير سورة النساء"، (1983)، مطبعة السعادة (د.ب).
11. محمد المريني: مدارات القراءة "تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية"، (2015)، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع (عمان).
12. محمد فايد هيكل: الوحدة والتعددية في القصيدة العربية بين القديم والحديث،(2022)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع (مصر).
13. محمد الدغومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، (1999)، مطبعة النجاح الجديد(البيضاء).
14. حمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (د.ت)، مكتبة غريب (القاهرة).

15. وحيد بن بوعزيز: حدود التأويل "قراءة في مشروع أمبرتو إيكو"، (2008)، منشورات الاختلاف (الجزائر).
16. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (2008)، منشورات الاختلاف (الجزائر).

كتب مترجمة:

1. أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح، تر: عبد الرحمان بن بوعلي، (2013)، دار الحوار (سوريا).
2. أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية "التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية"، تر: أنطوان أبو زيد، (1996)، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء).
3. بول ريكو: نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، تر: سعيد الغانمي، (2006)، المركز الثقافي العربي (بيروت).
4. بول ريكور: صراع التأويلات "دراسات هيرميوطيقية"، تر: منذر عياشي، (2005)، دار الكتاب الجديد المتحدثة (إفرنجي).
5. كريس بولديك: النقد والنظريات الأدبية منذ 1890، تر: خميسي بوغرارة، (2004)، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات جامعة منتوري (قسنطينة).

موسوعات والمعاجم:

1. حياة لصحف: مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، (2013)، المجلس الأعلى للغة (الجزائر).
2. رشيد بن مالك: قاموس تحليل السيميائي للنصوص، (2014)، عالم الكتاب الحديث (الأردن) .
3. سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، (2001)، دار الآفاق (الجزائر).
4. محمود عبد الغني: معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة العربية، (2017)،منشورات المتوسط (إيطاليا).

موسوعات ومعاجم مترجمة:

1. بورين فان، ستيوارت: النظرية النقدية، تر: جمال الجزيري، (2005)، المجلس الأعلى للغة (الجزائر).
2. دنيال تشاندرلز: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، تر: شاكر عبد الحميد، (2002)، أكاديمية الفنون (القاهرة).

موسوعات ومعاجم أجنبية:

1. Chris Baldick: The concise Oxford Dictionary of Literary Terms, (2001), Oxford university press inc (New ork).

مجلات ومقالات:

1. سعيد بنكراد: الخلاف والاختلاف، (2011)، علامات "مجلة علمية محكمة" (د.ب)، د. مجلد، ع35
2. عز الدين إسماعيل: قراءة في "معنى المعنى" عند عبد القاهر الجرجاني، فصول مجلة النقد الأدبي، (سبتمبر 1987)، الهيئة المصرية العامة (مصر)، مج7،ع4/3

مقالات باللغة الأجنبية:

1. Umberto Eco: the poetics of the open work, translated by Anna cancogni, university press, Cambridge (massachustts).

رسائل ماجستر ودكتوراه:

1. محمد صامت: إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر، (2008)، رسالة ماجستير، جامعة وهران السانية/الجزائر.